تحليل الخطاب والأيديولوجيا في رواية "النخلة والجيران" لغائب طعمة فرمان على ضوء نظرية فركلاف

على خوش گفتار

طالب الدكتوراه بجامعة الحكيم السبزواری، إيران.

عباس گنجعلی

أستاذ مشارک بجامعة الحكيم السبزواری، إيران.

A.ganjali@hsu.ac.ir

التنقيح والمراجعة اللغوية:

تاريخ الوصول: **تاريخ القبول:**

الملخص

يعد تحليل الخطاب في الأعمال الأدبية أحد المناهج الهامّة في النقد الأدبي المعاصر، والذي احتل مساحة كبيرة من النقد اليوم بفروعه وأشكاله المختلفة. ومن أبرز هذه التوجهات "تحليل الخطاب النقدي". والمنهج هذا ينظر إلى اللغة باعتبارها منتجا اجتماعيا، فيدرس العلاقة الوثيقة بين العمل والإيديولوجيا، كما يدرس العلاقة بين السلطة والمجتمع. وإن منهج فركلاف في تحليل الخطاب النقدي هو المنهج الأبرز والأكثر شمولاً وقبولاً الذي رحّب به الكثير من الباحثين. وذهب فركلاف في نظريته إلى أنه يمكن فهم محتوى العمل ورسالته الاجتماعية والوصول إلى علاقات القوة والعلاقات الاجتماعية من خلال اللغة في إطار المحاور الثلاثة؛ أي الوصف والتفسير والتبيين. وهذه الورقة البحثية باعتمادها على المنهج الوصفي التحليلي وبناءً على النظرية المشار إليها، تحاول أن تدرس الرواية الشهيرة *"النخلة والجيران"* للكاتب غائب طعمة فرمان استكشافا الخطاب والأيديولوجية السائدة في الرواية المذكورة من خلال فحص المستويات الثلاثة؛ أي الوصف والتفسير والتبيين، ثمّ المكوّنات الأساسيّة لكل من هذه المستويات في الرواية، من أجل تحديد أدلة لفهم المجتمع العراقي بعد الحرب العالمية الثانية، والذي يسعى فرمان إلى تفسيره من خلال نهجه الواقعي. ومن أهم ما توصل إليه البحث أن رواية المذكورة على المستوى الوصف، تعتبر عملاً شعبياً يتميز باللغة المحلية والتعابير العامية، كما أنها تحكي

قصة سياسية واجتماعية على مستوى التفسير ساعية إلى تحليل الأوضاع الاقتصادية السائدة في العراق. وعلى مستوى التبيين فإنها تشير إلى وجود خطاب الجمود لدى المناضلين، كما أنّ فرمان يصور خطاب الركود والعزلة السائدة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية، ويسعى إلى تعزيز خطاب العاطفة والقومية للخروج من هذا المأزق. ومن خلال تصوير الركود السياسي والاجتماعي في العراق بأسلوب واقعي، أشار الكاتب إلى استمرار الاستعمار ونشوئه نتيجة لهذا السلوك.
الكلمات الدليلية: السردانية العربية، الخطاب، الأيديولوجيا، فركلاف، غائب طعمة فرمان، النخلة والجيران.

المقدمة

إن دراسة الأعمال الأدبية من وجهة نظر علم الاجتماع وضرورة اكتشاف وتبيين العلاقة بين الأعمال الأدبية والبيئة والسياق الذي ولدت فيه يعد من أهم المناهج في بحث النقد الأدبي المعاصر. وفي هذا الإطار، تم النظر في نظرية تحليل الخطاب النقدي لفركلاف، كما تم النظر في التحليلات التي تجاوزت مستوى الكلمات لفحص الخطاب والعلاقة بين كمية البنية الفوقية والخارجية في العمل. «تحليل الخطاب النقدي هو تحليل أيديولوجي، كشف وجه الأيديولوجيات والقوى الخفية وراء النصوص الإعلامية والأدبية والسياسية والقضائية، وبشكل عام، الكشف عن سر الأشكال الخطابية لإنتاج النصوص وتفسيرها ودورها في رؤى الأفراد وأحكامهم.» (آقاگل‌زاده، ۱۳۹۰ش: ۱۶۰) ومن النقاط المهمة في منهج التحليل النقدى للخطاب بشكل عام وفي تحليل الخطاب النقدي بشكل خاص أن النص والقضايا الاجتماعية لا تربطهما دائما علاقة مباشرة، بل توجد بينهما علاقة غير مباشرة ورمزية أحيانا. لذلك، ينبغي لتحليل الخطاب أن يحلل النص ويعبر عن القضايا الخفية وراء النصوص؛ بعبارة أخرى، «يجب على تحليل الخطاب أن يشرح ويقول ما هي الأفكار التي كانت لدى المتحدث (أو الكاتب)، وفي الواقع، يكشف عن الوجه الخفي للنص.» (يارمحمدي، ۱۳۸۳ش: ۱۸۲) يسمح تحليل الخطاب للباحث بملاحظة جذور وتأثير النص الأدبي على القضايا السياسية والاجتماعية، ويسمح للقارئ بفهم ظروف المجتمع في العصر الذي تم فيه إنشاء النص. في الواقع، يتواصل تحليل الخطاب مع التاريخية الجديدة من جهة، ويحاول اكتشاف وفحص القيمة التاريخية والاجتماعية للأعمال الأدبية.

تُعد دراسة القضايا العراقية المعاصرة ذات أهمية بالغة. فتاريخ العراق المضطرب في العصر الحديث يتطلب دراسته بكل الطرق الممكنة، سواءً من خلال النصوص التاريخية والسياسية أو من خلال النصوص الأدبية. ومن بين الفترات التاريخية التي مر بها العراق، تشكل فترة الانتداب البريطاني أهمية خاصة، فهي تمثل الوضع الذي أدى إلى الثورة القومية ثم صعود دكتاتورية صدام حسين والتطورات السياسية والاجتماعية اللاحقة. وتعتبر هذه الفترة مثيرة للاهتمام من حيث نوع العلاقة التي كانت تربط الناس بأصحاب السلطة بسبب الصراع بين الشعب العراقي والقوات البريطانية التي كانت في قمة السلطة. ويعد غائب طعمة فرمان من الأدباء الذين كتبوا أعمالاً أدبية في هذه الفترة، وتعد أعماله التي استخدم فيها الأسلوب الواقعي مرآة كاملة لواقع العراق وأوضاعه في العهد الملكي العراقي. نظرًا لمكانة روايات فرمان في عكس الوضع السياسي والاجتماعي في إحدى أهم الفترات السياسية في العراق، تسعى هذه المقالة إلى دراسة العلاقة بين الأعمال الأدبية وظروف المجتمع خلال هذه الفترة. وللوصول إلى نتائج ملموسة ودقيقة، تمت دراسة هذه القضية من خلال نظرية تحليل الخطاب النقدي لفركلاف.

أسئلة البحث

حاولت هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما هي أنواع الأشكال والصيغ اللغوية المستخدمة في رواية النخلة والجيران وفقا لمستوى الوصف في نظرية فركلاف؟

٢. ما هي القصة التي يرويها الكاتب في روايته وكيف؟

٣. ما هي العلاقة بين الأشكال التعبيرية واللغوية والظروف الاجتماعية والخطاب السائد في العمل حسب نظرية فركلاف؟

خلفية البحث

على الرغم من الأهمية الكبيرة لرواية «*النخلة والجيران*» إلا أن الدراسات التي تناولتها حتى الآن قليلة. ومن هذه الدراسات: «رواية العراق *النخلة والجيران* نموذجًا»، بقلم أزهار گوينده (١٣٨٨ش)، رسالة ماجستير، جامعة العلامة الطباطبائي. في هذه المقالة، تناولت الباحثة الرواية وتاريخها وتطورها في الأدب العربي المعاصر، ورصدت أبرز سمات الرواية العربية، بالاعتماد على رواية «*النخلة والجيران*» لغائب طعمة فرمان.

«تأصيل الأدب الشعبي في رواية *النخلة والجيران* لغائب طعمة فرمان»، بقلم أحمد عواد الخزاعي (٢٠١٦م)، مجلة كتابات. درس الباحث فى هذا المقال عملية توظيف الرموز والقيم والحكايات الشعبية في رواية *النخلة والجيران* لغائب طعمة، ويُركز على انعكاس هذا الصوت فيها، والذي يتجلى غالبًا في صورة النظام الأبوي.

«تداخل الفنون في الرواية العراقية: رواية *النخلة والجيران* للروائي غائب طعمة فرمان نموذجًا»، بقلم زينب عبدالرضا (٢٠٢١م)، يتناول هذا المقال تداخل الأنواع الأدبية المختلفة كالشعر، والمسرحية، والملحمة والأسطورة، بالإضافة إلى تداخل الفنون كالسينما والمسرح في الرواية المعنية، ويدرس ويحلل نماذج من تلك الرواية.

«سيميائية الشخصية في رواية *النخلة والجيران* لغائب طعمة فرمان»، بقلم منذر يليم عبدالرحيم وجواد سعدون زاده. (٢٠٢٤م) تناول الباحثان في هذا المقال سيميائية الشخصيات في الرواية، ودرسا محتوى العمل ورسالته من خلال تحليل العنوان، الشخصية واسمها وسماتها وخصائصها، بالإضافة إلى كيفية معالجتها.

تتميّز هذه المقالة بدراسة الخطاب لرواية *النخلة والجيران* واعتباره كأداة لفهم أيديولوجية العمل وموضوعه، لذا تعد دراسة جديدة لم يتناولها أحد حتى الآن.

ملخص القصة

تدور هذه الرواية حول خبازة تدعى سليمة، تعيش في نفس البيت مع ابن زوجها حسين، ويتم سرد القصة والمشاكل التي تواجهها هاتان الشخصيتان على مدار الكتاب. تتعدد الشخصيات في الرواية، ولكلٍّ منها طابعها الخاص وأسلوبها الخاص. ومن نقاط قوة الرواية تصوير الشخصيات، وخاصةً شخصية سليمة، كما أن شخصية مصطفى، في تقابله مع سليمة، تجذب الانتباه. شخصية استغلالية تحاول أن تصنع من ممتلكات الفقراء ثروة لنفسها. وأيضًا، شخصيات الخالة نشيمة، وتماضر، وبائع الدراجات وطريقة التعامل معهم مثيرة للاهتمام للغاية. تروي هذه الرواية أحوال الناس وحياتهم الاجتماعية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وعهد الملك فيصل، آخر ملوك العراق. وتقدم للقارئ معلومات وافية عن فترة الاستعمار البريطاني للعراق، حيث استشرى الفقر والفساد والمرض والأمية والتمييز.

المباحث النظرية

نشأ منهج تحليل الخطاب النقدي، المعروف في اللغة الأكاديمية والنصوص المتخصصة باسم CDA، في أوائل تسعينيات القرن العشرين وأصبح أحد أكثر مجالات العلوم الاجتماعية رسوخًا ومكانة في القرن الحادي والعشرين. بشكل عام، «يمكن تعريف تحليل الخطاب النقدي بأنه برنامج بحثي متعدد التخصصات (أو عبر التخصصات) موجه نحو حل المشكلات.» (وُداك، ٢٠١١م: ٣٨) يتناول هذا النهج العلاقة بين علم الاجتماع والأدب، ويربط في الواقع بين مجالين مختلفين. ينصب التركيز الرئيسي لتحليل الخطاب النقدي على السلطة، وخاصةً السلطة المعاد إنتاجها مؤسسيًا. (عكاشه، ١٣٩٨ش: ٧١)

الهدف من تحليل الخطاب النقدي هو تحليل العلاقات البنيوية للهيمنة والتمييز والقوة والسيطرة التي تتجلى في اللغة. يؤكد تحليل الخطاب النقدي أن الخطاب هو أداة في خدمة السلطة، وغالبًا ما يكون من الصعب فهم كيفية عملها. إن هدف تحليل الخطاب النقدي هو الكشف عن هذه الطريقة في العمل وفضحها (فرقاني، ١٣٩٠ش: ١٣٧)، لا يتفاعل تحليل الخطاب النقدي مع القوة في حد ذاتها فحسب، بل يحلل أيضًا تأثيرات القوة، وعواقب القوة، وما تفعله القوة بالناس والمجموعات والمجتمعات، وكيف تحدث هذه التأثيرات. إن أكثر هذه التأثيرات تعقيداً هو عدم المساواة، عندما تختار آليات القوة وتفرق بين الداخلين والخارجين، أي المستبعدين والمحرومين. (المصدر نفسه، ١٣٨)

تُعدّ اللغة من المجالات الأخرى التي تحظى باهتمام تحليل الخطاب النقدي. يتناول هذا النهج اللغة كممارسة اجتماعية، ويهتم بكيفية نشوء الأيديولوجيات وعلاقات القوة وتجليها من خلال اللغة. (باركر، ٢٠١١م: ٢٦)

في الواقع، يسعى تحليل الخطاب النقدي إلى اكتشاف كيفية استخدام اللغة لإنشاء علاقات القوة والأيديولوجيات والحفاظ عليها، وكيف يتحداها. (المصدر نفسه، ١٦٧)

يذكر فركلاف ثلاث خصائص للتحليل النقدي للخطاب، سواء كنوع من البحث أو كنوع من التحليل بشكل عام. أولاً، إن تحليل الخطاب النقدي ليس مجرد تحليل للخطاب (أو بشكل أكثر دقة، النص)، بل هو جزء من التحليل المنهجي والمتعدد التخصصات للعلاقات بين الخطاب وعناصر أخرى من العملية الاجتماعية.

ثانياً، إن تحليل الخطاب النقدي ليس مجرد تفسير عام للخطاب، بل يتضمن أيضاً نوعاً من التحليل المنهجي للنصوص: وأخيرا، فإن تحليل الخطاب النقدي ليس وصفيا فحسب، بل هو توجيهي أيضا؛ لأنه يركز على التشوهات الاجتماعية في جوانبها الخطابية ويقترح طرق حلها من خلال الحد من شدتها. (المصدر نفسه، ١٠) وبالاعتماد على هذه المستويات الثلاثة نصل تدريجيا إلى خطاب العمل، ومن خلال فحص الأشكال اللغوية أولا ثم تفسيرها وتبيينها يتم تحديد خطاب العمل والعلاقات المؤثرة والأيديولوجية فيه.

مستوى التوصيف

المرحلة الأولى في نظرية نورمان فركلاف لتحليل الخطاب النقدي هي مستوى الوصف. في هذه المرحلة، يُفحص النص الأدبي بذاته، منفصلاً عن النصوص الأخرى وعن السياق والوضع الاجتماعي. يمكن اعتبار مجموعة السمات الرسمية الموجودة في النص بمثابة اختيارات محددة بين خيارات المفردات والقواعد النحوية المتاحة التي يستخدمها النص. هذا التحليل تحليلٌ تجريديٌّ للنص. (فركلاف، ١٣٧٩ش: ١٧٥؛ حدادي، ١٣٩٠ش: ٣٣)

لذلك، يُقال: «لتحليل نصٍّ ما، ينبغي أولاً ملاحظة أن موضوع الرسالة يلعب دورًا أساسيًا في اختيار نوع اللغة.» (بهلوان نجاد، ١٣٨٧ش: ٤١) في هذه المرحلة يتم تحديد السطح الخارجي والقشرة الخارجية للعمل، ويتم إعداد الأرضية اللازمة لفهم خطاب العمل في مرحلة التفسير والتبيين.

إن صياغة العنوان الجذابة هي أول ما يوقف القارئ على مستوى الوصف. عنوانٌ يدلّ أيضًا على تعدد الأشخاص*"النخلة والجيران"*. مع أن شجرة النخيل تبدو وكأنها تُمثّل الشخصية الأنثوية في القصة، إلا أن هذا ليس المقصود في الرواية. "*شجرة النخيل*"، فهي شجرةٌ لا تختلف في بعض خصائصها عن الشخصية الأنثوية في القصة.

الشخصية الرئيسية في الرواية هي امرأة تدعى "*سليمة*" التي تكافح باستمرار لتوفير ضروريات الحياة. هذا العنوان مستوحى من كلمة "جيران" بصيغة الجمع. جيران، عنوان يُذكرنا برواية "*جيران*" الفارسية لأحمد محمود.

في هذه الرواية، يتضح جليًا أن وضع جماعة أو طبقة ومجموعة من الناس المتجاورين يُروى في سياق المجتمع العراقي. لذا، يوحي العنوان بالجماعية والروح الاجتماعية وغياب الفردية في الرواية، ويتحدث الكاتب عن قضية عامة وشاملة.

هناك مسألة أخرى تجذب القارئ على مستوى الوصف وهي استخدام الجمل والتعبيرات العامية، والتي اختارها الكاتب وفقًا للشخصيات البسيطة والمتواضعة، تناسب هذه اللغة. إن انعكاس حياة الجماهير في الرواية دفع الكاتب إلى التحدث بلغتهم، وعدم تنظيم عمله بمعزل عن مزاج أبطاله. على سبيل المثال، في بداية الرواية، يُستخدم التعبيرات العامية بوضوح وغزارة:

«قبل أن تغرب الشمس سمع الجيران صوتها

ثالت أسومة العرجة

القرج خاتونة المحلة

وقال حمادي العربنچي في الطولة المجاورة لبيتها،

عبخانة... خوب مو عبخانة!

وقال حسين وهو على بعد خطوتين منها:

أنت يومية معذبتني... مو دا أحلف لچ بالعباس» (فرمان، ١٩٨٨م: ١٧)

ومن الواضح أنه عندما تروى الرواية على أيدي الشخصيات؛ فإن الكاتب يتحدث بلغتهم العامية الخاصة، وعندما يربط أجزاء الكلام، عندما تكون الرواية بلغته الخاصة كراوي فإن الكلمات تكون بليغة ورسمية. حافظ الكاتب على الطابع المحلي للعراق، وهدفه كتابة قصة عراقية تعكس الظروف الاجتماعية والثقافية والعقائدية للعراق. ينوي الكاتب نقل تجربته في العراق ككاتب، لذا من الطبيعي ألا ينأى بنفسه عن أجواء المجتمع الذي يتحدث عنه أسلوبًا ولغةً.

اللغة المحادثة والحوارات المتكررة في الرواية، والتي تجعل الرواية تبدو وكأنها لعبة بينج بونج، هي من السمات الشكلية الأخرى للرواية. في هذه الرواية، يحاول فرمان إدخال الشخصيات نفسها في القصة ويتجنب التدخل ولعب دور مطلق. في الواقع، تحاول هذه الرواية خلق صورة مباشرة لمزاج الشخصيات، وكلماتهم، وأفعالهم، مما يسمح للقارئ بالتواصل مع ما تقوله الشخصيات وتفكر فيه دون أي وسيط. وتغطي الحوارات مساحة واسعة من الرواية وتلعب دوراً فعالاً في تقدم السرد وخلق أجواء الرواية. يجذب الموتيف وبعض الرموز، مثل موتيف النخيل، الانتباه في الرواية. وقد استخدم الكاتب هذا الموتيف لخلق تشابه وتقارب بين البشر والأشجار.

شجرة النخيل في هذه الرواية قاحلة، وهي وحيدة كالشخصية الأنثوية في القصة، وتعتمد على نفسها فقط: «حملتها إى النخلة القميئة، وثبت فيها الماء لتنقع. وذهبتُ إلى الليوان لتنقل حزم الحطب الطرفة لتكسرها في الحوش وقوداً ليوم غد.» (فرمان، ١٩٨٨م: ١٨)

لذا، ما يثير الاهتمام في الرواية هو الدور الرمزي لشجرة النخيل في القصة. فهي الشجرة الوحيدة التي تُشبه البشر إلى حد كبير. إذا جَرَى الماء فوق رأس النخلة، اختنقت. إذا قُطِعَ رأس النخلة، ماتت، على عكس الأشجار الأخرى التي تُنتج أغصانًا وأوراقًا أكثر. إذا أحرقنا خشب النخلة، فلن يُنتج أي فحم، كما هو الحال مع البشر. تعشق أشجار النخيل كالبشر. عمومًا، تُعتبر النخلة شجرةً مقدسةً تُثمر في السادسة عشرة من عمرها؛ (شلبيه، ١٩٩٦م: ١٤٠) لكن في رواية "*النخلة والجيران*"، تشبه سليمة شخصيتها بشجرة نخيل في حديقتها، وترى أن عدم ثمر الشجرة يشبهها، بل وتقوم بمحادثة النخلة عن همومها ومآسيها. وهناك جزء من القصة حيث لم تعد هناك شجرة نخيل، ويشار إلى ذلك بالكارثة ونهاية العالم: «رأت أمامها نخلتها القميئة تبرك قرب الحائط وسط دائرة سوداء، نخلة مهجورة عاقر مثلها تعيش معها في هذا البيت الكبير خرساء صماء، تتحمل كل المياه القذرة التي تلقى في حوضها، ويمر الصيف والشتاء دون أن تحمل طلعا، أو تحضر لها سعفة.» (فرمان، ١٩٨٨م: ٧)

من خلال هذا الوصف يحاول الكاتب أن يروي قصته عن المرأة العراقية والظروف الصعبة التي تعيشها في المجتمع. المرأة العراقية مضطهدة كشجرة النخيل، والتقاليد تسعى إلى تدميرها، لكنها هي صامدة وتقاوم الموت، رغم قحطها وقلة خضرتها.

ومن خلال هذا الرمز يسعى الكاتب إلى التعبير عن حال المرأة العراقية بأبسط الوسائل الممكنة، فشجرة النخلة من الأشجار التي يعرفها القارئ العربي والعراقي، وهذا الموتيف يسهل على القارئ فهم قصد الكاتب وسرده للمرأة. إن استخدام الأوصاف المتكررة والألفاظ المتجانسة كأحد العوامل المكونة للخطاب (مرتضى، ١٩٩٨م: ١٢٨) مكّن الكاتب من الاقتراب بشكل أفضل من هدفه المتمثل في عكس ظروف العراق بدقة.

عندما يختار الكاتب موضوعًا ما، فإنه يحاول تحليله بدقة من منظور سردي، ويرسم للمتلقي صورة واضحة وكاملة منه. على سبيل المثال، في المثال التالي، يتضح مدى دقة الكاتب في وصف الموضوع: «ادار لها ظهره ومشى. راقبت قامته الميّالة إلى القصر تبتعد عنها بتثاقل وبلا مبالاة. مشى عبر الحوش الطويل إلى حجرته، وخلفها تنتزى غيظاً، مطعونة مدحورة، عاجزة لاتعرف كيف تصب ما في دعماقها الملتهبة في كلمات. ظلّت في وجود الخيبة دقائق أفاقت بعدها على نفسها فوقع بصرها على الاجانات النحاسية الفارغة المثلومة الحواشي، والملطخة بالعجين الجاف.» (فرمان، ١٩٨٨م: ١٨)

ومن خلال مطالعة هذه الفقرة التي تصف سليمة بطلة القصة، يتبين لنا محاولة الكاتب وصف الموضوع وسكناته وخصائصه بدقة باستخدام الكلمات المناسبة والمنسجمة. يحاول الكاتب تقديم وصف كامل للموضوع، مثل كاميرا الفيلم، وتشارك مركزية الشخصية في استخدام مثل هذه السمات. باستخدام هذه التقنية، أعدّ الكاتب مقدمةً لتعريف الجمهور بهذه الشخصية، وصوّر جهودها في تحظير الخبز. امرأةٌ تكسب عيشها من صنع الخبز، وتُقدّم كقدوةٍ للمرأة العراقية الكادحة.

لقد تم استخدام الأساليب الأدبية التعبيرية والجديدة في رواية "*النخلة والجيران*" كأداة لتصوير الأحداث بدقة وفعالية. «استخدم فرمان في روايته، تقنيات إبداعية كشاعر متمكن، وهذا ما جعل اللغة جذابة ورغبة القارئ في قراءة أعماله، وبالطبع، لم تخلُ لغة الكاتب القوية في السرد من تأثيرٍ في استخدام التشبيهات والاستعارات.» (النعمان، ١٩٩٦م: ٣٢) ولذلك، استخدم الشاعر التشبيهات، كغيرها من الأشكال اللغوية، ليعكس التطورات الاجتماعية، مُثريًا بذلك المسار الفكري للرواية. فعلى سبيل المثال، يقول في المثال التالي: «مشى يخفق بقبقابه المبلل الى حجرته. كانت شبه مظلمة.

السماية تنير جزءاً من اعلى الحائط. ورأى وجهه المدوّر في مرآة معلقة على الحائط. كان شاحباً مظللاً مثل لقطة فيلم جهنمي. ولما ابتسم، في تكشيره تمثيلية، انفرجت الظلال على وجهه العريضة، وصارت عيناه هالتين من السواد، وبرز أنفه.» (فرمان، ١٩٨٨م: ٣١)

وتضمن مثل هذه الحالات عدم ترك القضايا التي تطرحها الرواية غير مكتملة وغير كاملة، وتوفر للقارئ أدلة لاكتشاف أيديولوجية الرواية. على سبيل المثال، في المثال أعلاه، فإن وصف مصطفى بأنه الشخصية السلبية في القصة من خلال التشبيهات يساعد القارئ على التعرف على عالم هذه الشخصية، والذي يتقابل مع الشخصية الرئيسية والطيبة في القصة، أي شخصية سليمة. وتعتبر هذه الجهود وسيلة لوصف الخطاب والأيديولوجية التي تقوم عليها القصة بشكل صحيح وفهمها بشكل فعال.

مستوى التفسير

المستوى الثاني من تحليل الخطاب عند فركلاف هو التفسير. «التفسير مزيج من محتوى النص نفسه وذاتية المفسّر، أي المعرفة الأساسية التي يطبقها المفسّر ويقدمها في تفسير النص. كذلك، من وجهة نظر المفسّر، فإن السمات الشكلية للنص هي في الواقع دلائل تعمل على تنشيط عناصر ما قبل السياق لدى المفسر، وسيكون التفسير نتاجًا للعلاقة المتبادلة والجدلية بين هذه الدلائل والمعرفة الخلفية لعقل المفسر. (فركلاف، ١٣٧٩ش: ٢١٥) وعلى مستوى التفسير يتم تناول سياقين: سياق الموقف وسياق التناص، وكلا السياقين يتم استعراضه ونقده لاحقا في رواية *"النخلة والجيران"*.

السياق الظرفي

وفيما يتعلق بالسياق الظرفي ونوع الخطاب، يعتقد فركلاف أن النظام الاجتماعي ينشأ من المتطلبات الظرفية (خانيكي، ١٣٨٧ش: ٩٤) ويرتكز فحص الوضع أيضًا على "ما هي القصة"، و"الأطراف المشاركة في القصة"، و"العلاقات بين الأشخاص المشاركين في القصة"، وأخيرًا "دور اللغة". كل من هذه المواضيع المذكورة لها علاقة مقابلة بالمحتوى والموضوعات والاتصالات على التوالي. (فركلاف، ١٣٧٩ش: ١٤٦) إن دراسة هذه العناصر الأربعة تشكل السياق الظرفي للنص وتوفر للقارئ التعرف على الممثلين على مستوى القصة.

رواية *"النخلة والجيران"* تحكي قصة اجتماعية سياسية من حيث مضمونها وتسعى إلى تصوير الواقع الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع العراقي بعد الحرب العالمية الثانية. عندما كان العراق تحت الحكم البريطاني وكان متأثراً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً بالوجود البريطاني في العراق. تحاول الرواية التعبير عن الأوضاع في العراق في تلك السنوات بلغة وأسلوب واقعيين، والحديث عن مواجهة الناس للمشاكل، وفقرهم وبؤسهم، وسعيهم للحصول على ضرورات الحياة. في الواقع، تتحدث الرواية عن حالة اجتماعية محددة حيث لا يكون الناس في اتجاه أو سياق محدد: «بس اشلون يذل من يشاء ويعز من يشاء؟ يقفر من يشاء ويغني من يشاء. أنت سامعه قوال الصحابة: مصائب قوم عند قوم فوائد؟... الحرب شر وخير، شر هو هذا الغلاء الأسود، صمون السجون والچاي والشكر والخام بالبطايق وميدري واحداش وكت تجي قنبلة وتموته.» (فرمان، ١٩٨٨م: ٢٢)

وفي الواقع، حاول الكاتب من خلال هذه الصور إظهار الوضع الاقتصادي والاجتماعي للعراق في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بصورة نقية وواقعية. في ظل الظروف الحربية السائدة في العراق، والتي دفعت الجميع إلى البحث عن قطعة خبز وانتهاك المبادئ الأخلاقية لتحقيق أهدافهم. في الواقع، على مستوى التفسير، تصف الرواية جهود الناس من أجل البقاء والتعامل مع الظروف التي أدت إلى استغلال بعض الناس وإفقار آخرين. أدّى هذا الوضع إلى صراع بين مختلف شرائح المجتمع، وتنافسهم لتحقيق أهدافهم. وفي هذا الصدد، يُصوَّر الناس على أنهم يسعون إلى المال،

وليس لديهم أي هدف آخر. «أكو ناس عدهم قبضة مخ تشوفيهم يطلعون ذهب، تشوفيهم ميعرفون شيء، إلا اشلون يطلعون فلوس، والدنيا ما بيها غير الفلوس. اللي عنده عانة ميسوه عشر فلوس.» (المصدر نفسه، ٢٣)

وفي مثل هذه الأمثلة يتم التأكيد بشكل واضح على أهمية المال من أجل البقاء واستمرار الحياة. إنهم لا يعرفون سوى المال، وفي الظروف الصعبة التي يجدون أنفسهم فيها، فإن المال هو الدواء الوحيد لألمهم ويعتبر المعيار لمعيشتهم وتنفسهم. وتأكيداً على أهمية المال ودوره المؤثر في الظروف الاقتصادية الصعبة، يؤكد الكاتب أن كل شيء يعتمد على المال وعلى مقدار المال الذي يكسبه السماسرة.

أما فيما يتعلق بالشخصيات المشاركة في القصة، فبالرغم من أن الرواية عمل يحتوي على شخصيات كثيرة، إلا أنها تعتمد بشكل أكبر على شخصية سليمة. خبازةٌ همّها الوحيد خبزُ الخبزِ الشهيِّ لأهلِ الحيِّ. تعيشُ سليمةُ مع ابنِها حسين، الذي قُتلَ والدهُ في اشتباكٍ مع الإنجليز. ولذلك فإن أحد مستويات القصة يصور العلاقات بين العراقيين والبريطانيين، وعلى مستوى آخر يصور الصراع بين المطلعين، أو بالأحرى الأشخاص المعنيين بالقصة وهم أهل الحي في بغداد والبريطانيين. «بسيطة!... الانكليز مالين العراق. مليون انكليزي وهندي وسيك وكركه. وما علينا من كل شيء. إذا راد الفرن يبيع للانكليز يومية ألف صمونه. ها مو ذهب.» (المصدر نفسه، ٢٦)

وهنا، بالإضافة إلى التأكيد على تعدد الشخصيات والفاعلين في السياق الاجتماعي للمجتمع العراقي، يتم التأكيد على التباين بين العراقيين والإنجليز في البنية الاجتماعية. وهم موجودون في المجتمع ويستهلكون الخبز العراقي، وهذا يشير مجازياً إلى استغلالهم واستعمارهم للعراق ويتحدث عن وجودهم المقلق. بالإضافة إلى هذه القضايا الثانوية، يُشير الكاتب إلى أحداث اقتصادية رئيسية. على سبيل المثال، يُشير إلى الحرب بين العراق وبريطانيا، التي دارت بين العراقيين بقيادة نوري سعيد وحكومة رشيد علي جيلاني، وبين بريطانيا وقوات الحلفاء. «البارحة نوري السعيد أعلن الحرب على دول المحور، راح نفتح جبهة على بحر مرمره نسميها شلح وأعبر.» (المصدر نفسه، ١٧٧)

وهنا نرى إشارة إلى إعلان نوري سعيد الحرب على الحكومات المتفقة التي تقودها بريطانيا. وقد أدت هذه الحرب التي انتهت في النهاية بانتصار البريطانيين إلى بقاء البريطانيين في العراق، وقد سرد الكاتب هذه المواجهة في ضوء هدف الرواية وهو دراسة المواجهة بين إنجلترا والعراق.

للغة دورٌ أساسي في رواية "*النخلة والجيران*". فالكاتب، الذي يسعى إلى تصوير دقيق لوضع العراق بعد الحرب العالمية الثانية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية القائمة فيه، اختار لغةً عاميةً في معظمها، ويزخر نصه بالكلمات والتعابير والجمل العامية. وبذلك فإن العمل يمثل صورة دقيقة للمجتمع العراقي من حيث المحتوى واللغة. لقد أثّرت الشخصيات البسيطة والمتواضعة التي اختارها الكاتب في اختياره لهذه اللغة. فبمجرد أن يُدخل الكاتب الشخصيات في حوار، يستخدم اللغة العامية دون استثناء: «قال صاحب وكأنما لم يسمع كلامه: بلاكت صار لك شهر وأنت تجر بفلوسك. ووين كلامك... وراء الصيف أكعد بالمدرسة؟ أبو مهدي... الصيف بعد ما خلص، راح تخلص فلوسك قبل ميخلص.» (المصدر نفسه، ٤٥)

بالإضافة إلى اللغة العامية التي تحاول أن تعكس أصوات الطبقات الدنيا لأنفسها وتقدم رواية تنتمي إليها، في الحالات التي تستخدم فيها اللغة الفصيحة، فهي بسيطة وتهدف إلى خلق اتصال وثيق بين المتلقي ومحتوى الرواية: «جلست سليمة الخبازة على الحصير. كان الحصير حاراً. هزّت عجيزتها عليه بخفة الفرح، ولذة الانتصار. وكذلك كان خاصيك خفيفاً مرحاً، رجلاً قصير القامة، ضئيل الجسم، ارمنيا ابن ارمني.» (المصدر نفسه، ٦٢)

حاول الكاتب استخدام اللغة لتصوير الواقع المعيش للمجتمع العراقي ونشطائه. اللغة في الواقع هي بمثابة منصة تعكس ظروف المجتمع، واستخدام اللغة في شكليها، العامية والرسمية، هو وسيلة للتواصل المناسب مع المتلقي. يحاول الكاتب استخدام اللغة كرافعة فعالة في نقل الخطاب الثانوي للرواية.

التناص

أما المكون الثاني الذي يمكن دراسته على مستوى التفسير فهو السياق النصي. «إن الخطابات ونصوصها في حد ذاتها لها تاريخ وتنتمي إلى مجموعات تاريخية، ويعتمد تفسير السياق المتبادل بين النصوص على المجموعة التي نعتبر أن النص ينتمي إليها، وبالتالي على ما نقرأه كأرضية مشتركة ومفترضة بين المشاركين». وكما هو الحال مع السياق الظرفي؛ فإن المشاركين في الخطاب قد يصلون إلى تفسيرات متطابقة أو مختلفة تقريبًا، وقد يتم فرض تفسير الطرف الأقوى على المشاركين الآخرين. (فركلاف، ١٣٧٩ش: ٢٣٠) ومن خلال الاعتماد على السياق التناصي، يمكن التعرف على خطاب العمل والوعي بالسياقات التي تشكلت فيها الرواية.

من خلال دراسة السياق التناصي لرواية "*النخلة والجيران*"، يمكن اعتبار العمل ينتمي إلى سلسلتين. المجموعة الأولى هي النصوص الدينية، وخاصة القرآن الكريم. ويولي الكاتب اهتماماً خاصاً بنص القرآن الكريم وآياته المختلفة لبناء العالم السردي، ويظهر الاستخدام التناصي لهذا الكتاب بوضوح في الرواية وتشكيل العالم السردي وعالم الخطاب السردي. على سبيل المثال، في المثال التالي، يتم استخدام آية قرآنية للتعبير عن نية الشخص في الرواية: المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، البارحة چنت يمه.. گلت له خاجيك طوختها، ولعبت نفسنا.» (فرمان، ١٩٨٨م: ١١٧)

وهنا أبدى الكاتب رأيه مستخدماً عبارة من آية قرآنية. في الآية ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف: ٤)، يشير الله إلى ثبات صفوف المجاهدين في معركة العدو، ولكن في الرواية، يستخدم هذا التعبير للتعبير عن التضامن بين مواطني المجتمع والدعوة إلى الوحدة والتعاون في الأوقات الاقتصادية الصعبة. في الواقع، تُستخدم هذه الرسالة في سياق الرواية، الذي يدور حول انعكاس الأوضاع الاقتصادية الصعبة في العراق بعد الحرب العالمية. وفي حالات أخرى كثيرة، يُلاحظ استخدام الآيات القرآنية في الرواية. على سبيل المثال، في الأمثلة التالية، التي تقول: «تلفت حسين إلى الوجوه مستغيثاً فوجدها جامدة، وغير عازمة على أن تتدخل. وكان وحده أمام ابن الحولة فنهض. وجاءوا أبوهم عشاء يبكون. هذا ما وعدنا به وصدّق المصدق.» (المصدر نفسه، ١٧١)

ويستخدم الكاتب هنا الآية القرآنية ﴿وجاء أبوهم عشاءً يبكي﴾ (اليوسف: ١٦) من سورة يوسف، وسياق الآية هو عن أبناء النبي يعقوب الذين ألقوا يوسف في البئر وتظاهروا أنه مزقه الذئب، وجاءوا إلى أبيهم يبكون. استخدم الكاتب هذه الآية ليعبر عن الوضع الصعب الذي يعيشه الناس حيث يجربون ظروفاً اقتصادية سيئة، وقد سبب لهم هذا الوضع الضيق والحزين. وهناك حالات أخرى يستخدم فيها فرمان آيات قرآنية، مثل: ﴿ودفعت بالتي هي أحسن﴾ (فصلت: ٣٤) (المصدر نفسه، ٣٠)، والآية: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ (البقرة: ٢١٦) (المصدر نفسه، ٦١)، والآية: ﴿وما جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن: ٦٠) (المصدر نفسه، ١٣٨) ويحاول الكاتب دائماً استخدام الآيات القرآنية كأداة لتوسيع موضوع الرواية، وإيصال الأفكار والموضوعات المطلوبة، وتقوية خطاب العمل.

أما المجموعة الثانية من السياقات النصية التي تنتمي إليها الرواية فهي الأقوال الشعبية والرائجة التي يستخدمها الكاتب لتقدم جزء من خطاب وسرد القصة عندما تكون هناك حاجة لذلك. هذه الجمل تتعلق بالإنجليز، والشخصيات الرئيسية في الرواية، وشخصيات مختلفة لعبت دورًا فيها. على سبيل المثال، في المثال التالي، يُقال: «وهناك مثل جاء على لسان مصطفى الانتهازي المخادع يقول فيها عن الانجليز «العدو اللي تعرفه أحسن من الصديق اللي متعرفه.» (فرمان، ١٩٨٨م: ١١)

وفيما يلي بيان لمصطفى، وهو المؤيد لبريطانيا: ينسب مصطفى هذا المثل إلى الإنجليز، وخلاصة عبارته أن العدو الذي نعرفه خير من الصديق الذي لا نعرفه. في الواقع، من وجهة نظر مصطفى، هذه الجملة هي ذريعة للتواصل مع البريطانيين، وهذه الشخصية التي تدافع عن وجود البريطانيين استغلت هذه الفرصة لتقوية خطابها في الرواية. يستخدم الكاتب أحيانًا الأمثال والتعبيرات الشائعة لوصف حالته النفسية. على سبيل المثال، يقول في المثال التالي: «تركت الحطب واستجارت بحصيرتها. وقالت لنفسها «كل الناس بالسطوح»، وآني وحدي ألوب.» (المصدر نفسه، ١٩) أو في المثال أدناه الذي يقول: «وها هي تعيد مثل تناقلته عن زوجها أبو حسين يقول فيه «القلب مثل الوردة إذا خش بيه هم ذبل.» (المصدر نفسه، ١٣٩)

وتستخدم شخصية سليمة في القصة هذه الأمثلة لوصف بؤسها، ونتيجة لذلك، تُستخدم مثل هذه التعبيرات لتعكس ظروف مجتمع بغداد في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، مما يساعد الجمهور، الذي هو على دراية بالأمثال، على إدراك النص الجديد بشكل كامل ودقيق من خلال عدسة هذه النصوص الأصلية.

مستوى التبيين

يهدف فركلاف في هذا القسم إلى دراسة العلاقة الجدلية بين الأوامر الخطابية والممارسات الاجتماعية (فركلاف، ١٣٧٩ش: ٩٦)، عند دراسة التبيين، يمكن اعتبار الخطاب أحد مكونات الصراع الاجتماعي ووضعه على المستوى الأوسع (غير الخطابي) للصراعات وتأثير هذه الصراعات على الهياكل. (المصدر نفسه، ٢٤٥-٢٤٦) إن الغرض من مرحلة التبيين هو وصف الخطاب باعتباره جزءًا من عملية اجتماعية. (المصدر نفسه، ٢١٤) ويصف الخطاب باعتباره فعلاً اجتماعيًا ويظهر كيف تحدد البنى الاجتماعية الخطاب وما هي التأثيرات الإنجابية التي يمكن أن تحدثها الخطابات على تلك البنى. يقصد فركلاف بالهياكل الاجتماعية علاقات القوة والغرض من العمليات والممارسات الاجتماعية هي العمليات والممارسات المتعلقة بالنضال الاجتماعي. لذا، يتمثل التبيين في اعتبار الخطاب جزءًا من عملية الصراع الاجتماعي في بُعد علاقات القوة. (المصدر نفسه، ٢٤٥) لذا، يُؤخذ في الاعتبار التفاعل المتبادل بين الخطاب والبنى.

رواية "*النخلة والجيران*" لغائب طعمة فرمان هي نتيجة مباشرة لظروف الخطاب الاستعماري والأجواء السائدة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية. وهذه الرواية متأثرة بالخطاب من جهة، ومؤثرة في الخطاب من جهة أخرى. (المصري، ١٩٩٧م: ٣٩) في هذه الرواية، يمكن رؤية آثار علاقات القوة في المجتمع وتأثيرها بين مجموعات مختلفة من الناس. في هذه الرواية، شرح فرمان بالتفصيل كيف تؤثر البنى الاجتماعية على الخطاب. إن البناء الاجتماعي المبني على التمييز وعدم المساواة والفقر والظلم في المجتمع خلق خطابا مزدوجًا من العاطفة والنضال إلى جانب خطاب الرضا والعاطفة والنضال. وفي واقع الأمر، كان نتيجة لخطاب الحرية والنفور من الاستعمار أن تغير هذا البناء لاحقاً، وفي عالم العراق الحقيقي في منتصف القرن العشرين، واجهنا ثورة واسعة النطاق. ورغم أننا لم نصل بعد إلى هذه المرحلة من التغيير البنيوي في رواية فرمان من حيث الزمن، فإننا نستطيع أن نرى في الرواية الوعد بأن استمرار هذه العملية التآكلية سيؤدي إلى نهاية الاستعمار في البلاد.

الرواية تأخذ جانب الحذر في تصويرها للأحداث السياسية والاجتماعية، نظراً للظروف القمعية، كما أن القضايا السياسية والاجتماعية ليس لها تطبيق مباشر في الرواية. وقد ذكر الكاتب هذه الحالة التي يلعب فيها الجواسيس دوراً بارزًا ويجعلون الأمور وخيمة: «انه يخاف من الجواسيس فيقولها بسخرية، وتجنبا للملاحقة الأمنية، فعندما يتم ذكرها يقال: الحكومة الله يسلمها.» (فرمان، ١٩٨٨م: ١١٨)

في الواقع، وكما هو واضح، يتحدث الكاتب عن وجود جواسيس في المدينة، مما أدى إلى تفاقم الوضع الأمني بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من الظروف الاقتصادية السيئة، فإنه لا توجد إمكانية لانتقاد الحكومة أو الاحتجاج عليها.

يقول الدكتور عبد الله إبراهيم عن الرواية: «تعرضت رواية "النخلة والجيران" لحالة شبه ركود في نسق أحداثها، فتدهورت الأشخاص والأشياء والأماكن تدريجيًا، وظل وعي الشخصيات بذواتهم وعلاقاتهم ثابتًا لا يتغير، وانتهت بالفشل، وبينما كان المتلقي يظن أن خبز السليمة منتج مفيد في مجتمع استهلاكي، فإن حب "تماضر" في بيئة خالية من الألفة، أصبح (الخبز والحب) ذريعة للخداع والاستغلال، إن حلم الإنسان الذي لا يشعر بالوعي يسحبه إلى الوراء في حركة دون نهاية، فيتعثر في شيء أسوأ مما كان عليه، وكأن الحياة متاهة عظيمة أزيلت منها علامات النهاية.» (إبراهيم، ٢٠١٦م، ج ٢: ٧١) ولذلك تبقى الشخصيات على نفس المستوى وغير قادرة على تغيير ظروفها، ويصف الكاتب حالتها فقط في السياق الاجتماعي للعراق.

تلعب عناصر اجتماعية متعدّدة دوراً في تطوير خطاب الرواية؛ منها التعددية الاجتماعية والقبلية في المجتمع العراقي، التي تعمل كقدرة اجتماعية وتعزز علاقات القوة بين المؤسسات الاجتماعية. ويشكل دور الجماعات العرقية والعشائرية حقيقة أخرى من حقائق المجتمع العراقي، الذي يتسم أحياناً بالصراع وأحياناً أخرى بالتوافق أو التحرك معاً.

«العراق يضم مجموعة من الطوائف والملل، فعلى مر الزمن كان العراق أرضا لكل الناس، بصرف النظر عن دينهم أو ملتهم، فهو يتسع للكل، لكن هذا لا ينفي وجود تباينات فيما بينهم، لكنها لا تجعل العلاقة الاجتماعية محظورة، بل هناك تواصل وتكامل في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، فيقول مصطفى المخادع لأم حسين:... الانجليز ما يأكلون إلا صمون، واتركينه من النصارى واليهود.» (فرمان، ١٩٨٨م: ١٧)

تعكس رواية "*النخلة والجيران*" الطبقات الاجتماعية المهمشة والمضطهدة في المجتمع. الطبقات التي لا يسمع صوتها وتعيش تحت جلد المجتمع مع مشاكل مختلفة تنبع من بنية السلطة في المستويات العليا. ولذلك لم يتجاهل الكاتب مساهمتهم في القصة، ويؤمن بضرورة عكس أصوات هؤلاء الفقراء الذين هم كثيرون. إن مشاكل المعيشة خطيرة للغاية لدرجة أنها تمنع الناشطين عن التفكير في الأمور السياسية. إنهم يهتمون بخبز الحياة وحوائجهم، وهذه الحالة تظهر نوعاً من المواجهة الطبقية والمادية بين الشعب والطبقة الحاكمة: «خاطر الله، اشبيكم مخبوصين بالسياسية؟ فكروا بالتموين، بالغلاء الاسود، وبالطحين المغشوش، والصابون، الشخاطة اللي اشتريها اليوم بسطش فلس.» (المصدر نفسه، ٧٣)

من أهم المواجهات بين أصحاب السلطة العليا وعامة الناس. وقد أشار الكاتب في أعماله إلى صورة الاستعمار البريطاني، الذي كان تحت سيطرة الحكومة العراقية آنذاك، وما عاناه الشعب من فقر وبؤس نتيجة هذه الظروف. لقد أدى الفقر والحرمان إلى المواجهة بين الشعب والقوى الأجنبية والاستعمارية، مما أدّى إلى المواجهة بينهما؛ ولكن هذه المواجهة فقدت لونها بسبب فقر الشعب، وحكم هذه الجماعة وقوتها أدّى إلى تحول الشعب فيها، لأن الشعب صادق البريطانيين بدلاً من المواجهة لكسب لقمة العيش: «جاءت فترة بطالة انتابته فيها نوبة ورع ثانية انتهت حين اشتغل عند الانكليز كسائق لوري. وهناك ذاق الويسكي، وطعم المعلبات يشريها من الجنود الانكليز المفلسين حتى ظهر به ضابط محملاً بالمعلبات حمولة تكفي سرية كاملة من الجنوب فطُرد، وعاني البطالة مرة أخرى. ولكن عمله في الجيش البريطاني دلّه على تجارة رابحة لاتكلف غير رأسمال متواضع واستخدام ذكي لبعض ذوي الصلات والخبرة بالجيش الحليف.» (المصدر نفسه، ٦٥)

إن المواجهة بين القوى الأجنبية والشعب أدّت في بعض الأحيان إلى مواجهة بين الطبقات المختلفة للشعب، وليس هناك مواجهة بين قطاعات من الشعب والقوى الأجنبية. في واقع الأمر، إن علاقة بعض الشعوب بالقوى الاستعمارية والأجنبية هي علاقة مبنية على الصداقة والتنازل. حرص الكاتب

على انعكاس هذا التوجه لدى الشعب العراقي بواقعية، مُصوِّرًا أشخاصًا يجدون وجود الإنجليز مفيدًا ويعتبرونهم أصدقاء. على سبيل المثال، نرى في الحوار التالي بين مصطفى وإبراهيم: «لا أم حسين، الانكليز مو أعداء... ماكو عدو ينفع. وأنت دتشوفين. وأحسَّت به ينظر إلى يدها الماسكة بالدينارين وساورها شعور غير مريح.» (المصدر نفسه، ٩٥)

وهنا، كما يمكن أن نرى، فإن مصطفى، على عكس سليمة، لا يعتبر البريطانيين أعداءً ويدعو إلى استمرار الانتداب البريطاني على العراق واستمرار حضورهم في البلاد. وفي الواقع، هناك صراع على المستوى الخطابي بين الخطاب الاقتصادي والخطاب القومي بين الشخصيات العراقية، ولم تصل الشخصيات حتى الآن إلى نتيجة حول هذه القضية. وفي ضوء ذلك يصف الكاتب من خلال مركزية الراوي الوضع في أحياء بغداد بأنه صعب وغير محتمل اقتصاديا بعد رحيل القوات البريطانية: «في بداية الشتاء بدأت القوات الانكليزية تغادر بغداد. غادرتها بارتال طويلة متجهة صورت الغرب. وقل ظهور الأجانب في شوارع العاصمة، وتزاحمهم على دور السينما. وبدأت معسكراتهم تتقلص أو تنزوي في الصفوف الخلفية حتى فرغ المعسكر الموجود قرب دائرة السكك، ومعسكر الصالحية والوشاش. وترك الانكليز ورائهم السواق والعمال والموظفين والسماسرة الذين استقدموهم وبيوتاً سوداء وبغايا... وامتلأ مقهى الشواكه بسواق عاطلين جلسو على تخوت عارية بالقرب من الكراج ليسهل عليهم اقتناص الشغل وهو طاير.» (المصدر نفسه، ١٣٦) وهنا، كما يمكن أن نرى، يصف الكاتب الوضع المؤسف والمرير في بغداد بعد رحيل البريطانيين. ونتيجة لهذه الحادثة تفاقمت حالة الفقر والبؤس في البلاد وأصبح الوضع الاقتصادي غير مستقر. مثل هذه الصورة تبرر الوجود الفعلي للبريطانيين في العراق وتجعل وجودهم يعتبر مصدر خير.

وبشكل عام، يمكن القول إن الرواية تعكس بشكل مقصود المجتمع العراقي بعد الحرب العالمية الثانية، وبدلاً من إظهار الصراعات الرئيسية بين قواته والقوى الاستعمارية، فإنها تسعى إلى عكس الحقائق الأساسية للمجتمع العراقي التقليدي. مجتمع لم يصل بعد إلى نتيجة مهمة في مواجهة القضايا الرئيسية وما زال منشغلاً بقضايا صغيرة ويومية. (العاني، ١٩٩٤م: ١٢٧) قيل فى زمن نشر هذه الرواية: «هذه نتاج حياة قضاها الكاتب في حي شعبي ببغداد. ويؤكد الكاتب نفسه أنه رجل بسيط من عائلة مجتهدة، وأن هدفه في الحياة والأدب لا يتجاوز هذا الإطار، وهو يحبهم. إنهم ليسوا أصدقائي ومعارفي فحسب، بل أقاربي أيضًا.» (جاسم، ٢٠٠٤م: ٩) بناءً على هذه المقدمة، تُظهر الرواية التناقض بين شخصية "سليمة" رمزًا للمرأة العراقية الطاهرة الكادحة، وشخصية "مصطفى" ناهبًا يسعى للسيطرة على ممتلكات الفقراء، ومن بينهم سليمة. ومن خلال تناولها قضايا الحياة اليومية، تُصوّر الرواية تفاعلات القوى الداخلية والشعبية.

النتيجة

على المستوى الوصفي، تعتبر رواية "*النخلة والجيران*" عملاً شعبياً يتميز باللغة المحلية والاستخدام المتكرر للألفاظ والتعابير العامية، وبلغة فصيحة وأدبية، وبنية رمزية وهادفة. في هذه الرواية، من عنوانها إلى تطورات السرد المختلفة ووصف الأحداث، أخذ الكاتب بعين الاعتبار سياق المجتمع العراقي، وأبدع عملاً يتناسب مع الظروف والروح السائدة في المجتمع. يحاول هذا العمل التواصل مع المتلقى لغويًا، ويعتبر التكرار والأدوات الأدبية والتقنيات الأخرى وسيلة لإقامة اتصال مبكر وفعال مع القارئ.

رواية غائب طعمة فرمان تحكي قصة سياسية واجتماعية على مستوى التفسير وغالباً ما تسعى إلى تحليل الأوضاع الاقتصادية السائدة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية. اختار الكاتب أبطال الرواية من الفصائل المؤيدة والمعارضة لبريطانيا، وبالتوازي مع ذلك، خدمت لغة العمل في نقل القصة. وقد تطرق الكاتب إلى تأثير حربين مهمتين في بناء خطاب العمل. أولاً والأهم من ذلك، كانت الحرب العالمية الثانية والحرب العالمية الثالثة هما الحربان بين

العراق وبريطانيا، مما أدى إلى بقاء البريطانيين في العراق. ورغم أن الكاتب لا يحبذ وجود البريطانيين في بغداد، إلا أن الرواية تظهر مؤشرات على التأثير الإيجابي للبريطانيين على اقتصاد البلاد ورغبة الناس فيهم بسبب تحسن معيشتهم.

وعلى مستوى التبيين فإن رواية "*النخلة والجيران*" تشير إلى وجود خطاب الجمود والركود لدى المناضلين. في الواقع، يظهر عمل الراوي حذر الشعب ومحافظة في مواجهة الاستعمار، وفوق ذلك، يظهر الصراع بين المطلعين حول قضية الوجود البريطاني في العراق. ورغم أن حالة التشدد في المجتمع غير مرغوب فيها، فإن الكاتب يعتبر القمع السياسي السائد ووجود الجواسيس سبباً آخر لاستمرار القمع في المجتمع. وتشارك طبقات مختلفة في تشكيل الخطاب والأيديولوجية في القصة، وتعكس الرواية قضايا المجتمع الطبقي الأدنى. يضع هذا المجتمع الأمل في كل فرصة ممكنة، كما أن وجود البريطانيين جلب لهم السعادة؛ لأنه أعطى أعمالهم دفعة طفيفة.

المصادر والمراجع

آقاگل‌زاده، فردوس. (١٣٩٠ش). *تحليل گفتمان انتقادي*. چاپ دوم. طهران: علمي وفرهنگي.

ابراهيم، عبدالله. (٢٠١٦م). *السردية العربية الحديثة*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

باركر، ك. (١٣٨٧ش). *مطالعات فرهنگي، نظريه وعملكرد*. ترجمه نفيسه حميدى–مهدى فرجي. پژوهشگاه مطالعات فرهنگي واجتماعي.

پهلوان‌نژاد، محمدرضا ونصرت ناصرى‌مشهدى. (١٣٨٧ش). «تحليل متن نامه‌اى از تاريخ بيهقى با رويكرد معني شناختي كاربردي نامه سران تگين‌آباد». (تحليل نص رسالة من تاريخ البيهقي مع تطبيق المنهج الدلالي على رسالة قادة تاجين آباد). *مجله كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة فردوسي مشهد*. دوره ١٦. شماره ٦٢. صص٣٧–٥٨.

جاسم، فاطمه عيسى. (٢٠٠٤م). *غائب طعمة فرمان روائياً*. بغداد: دارالشؤون الثقافية.

حدادي، الهام ومصطفى گرجى. (١٣٩١ش). «كردار گفتماني و اجتماعي در رمان مدار صفر درجه بر پايه الگوى تحليل گفتمان فركلاف». مجله *نقد ادبى*. دوره٥. شماره ١٨. صص٢٥–٤٩.

خانيكي، هادى. (١٣٨٧ش). در *جهان گفتگو*. چاپ اول. طهران: هرمس.

شلبيه، زهير. (١٩٩٦م). *غائب طعمة فرمان: دراسة مقارنة في الرواية العراقية*. بيروت: دارالكنوز العربية.

العاني، شجاع مسلم. (١٩٩٤م). *البناء الفني في الرواية العربية في العراق*. بغداد: دارالشؤون الثقافية العامة.

عكاشه، محمود. (١٣٩٨ش). *تحليل گفتمان در پرتو نظريه‌ي زبان‌شناسي نوين*. ترجمه فاطمه اكبرى زاده–مرضيه محصص. طهران: انتشارات نظري.

فرقاني، محمد مهدى وسيد جمال الدين اكبرزاده جهرمى. (١٣٩٠ش). «ارائه مدلي براى تحليل گفتمان انتقادي فيلم. *مطالعات فرهنگ وارتباطات*». دوره ١٢. شماره١٦. صص١٢٩–١٥٧.

فركلاف، نورمن. (١٣٧٩ش). *تحليل انتقادي گفتمان*. ترجمه فاطمه شايسته پيران و ديگران. طهران: وزارت فرهنگ ارشاد اسلامي، مركز مطالعات و پژوهش‌هاي رسانه‌ها.

فركلاف، نورمن. (١٣٨٧ش). *تحليل انتقادي گفتمان*. گروه مترجمان. ج ٢. طهران: دفتر مطالعات وتوسعه رسانه‌ها.

فرمان، غائب طعمة. (١٩٨٨م). *النخلة والجيران*. بغداد: دارالفارابي.

مرتاض، عبدالملك. (١٩٩٨م). *في تقنيات السردية*. الكويت: دارالمعرفة.

المصري، خالد. (١٩٩٧م). *غائب طعمة: حركة المجتمع وتحولات النص*. دمشق: دارالمدى.

مكاريک، ا. (١٣٩٣ش). *دانشنامه نظريه‌های ادبي معاصر*. ترجمه مهران مهاجر-محمد نبوي. طهران: آگه.

النعمان، احمد. (١٩٩٦م). *غائب طعمة فرمان: ادب المنفى والحنين إلى الوطن*. بيروت: دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع.

يارمحمدی، لطف‌الله. (١٣٨٣ش). *گفتمان‌شناسي رايج وانتقادي*. چاپ اول. طهران: هرمس.

Wodak, R. & Weiss, G. (2003AD) *Critical Discourse Analysis Theory and Interdisciplinarity*, Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Wodak, R. & Meyer, M. (2001AD) *Methods of Critical Discourse Analysis*, London: SAGE Publications.

References

Akasha, Mahmoud. (1398SH). *Discourse analysis in the light of modern linguistic theory*. Tehran: Nazari Publications.

Al-Ani, Shujaa Muslim. (1994AD). *Artistic Construction in the Arabic Novel in Iraq*. Baghdad: General Directorate of Cultural Affairs.

Al-Masry, Khaled. (1997AD). *Ghaib Taama: The Movement of Society and the Transformations of the Text*. Damascus: Dar Al-Madi.

Al-Naaman, Ahmad. (1996AD). *Ghaib Tuma Farman: The Literature of Exile and Longing for Homeland*. Beirut: Dar Al-Mada for Printing, Publishing and Distribution.

Aqagholzadeh, Firdaws. (1390 SH). *Critical Discourse Analysis*. (2nd ed.). Tehran: Almi and Farhangi.

Barker, ch. (1387SH). *Cultural studies: theory and Practice*. (Nafisa Hamidi and Mehdi Faraji, translators). Persian and social readings.

Fairclough, N. (1379 SH). *Critical Discourse analysis*. (Shayesteh Piran et al., translators) Tehran: Farhang visited Islamic guidance, a center for reading and teachings, and its staff.

Fairclough, N. (1387SH). *Critical Discourse analysis*. (Group of translators). Part 2, Tehran: A book of readings and its expansions.

Farman, Ghaib Taama. (1988AD). *The Palm Tree and the Neighbors*. Baghdad: Dar Al-Farabi.

Forghani, Muhammad Mahdi, and Akbarzadeh Jahromi, Sayyid Jamal al-Din (1390SH). His opinions are expressed in a critical analysis of the film. *Farhang's readings and connections*. Year 12. Issue 16. 129-157.

Haddadi, Elham, and Gurji, Mustafa. (1391SH). Discursive and Social Practices in the Novel Zero degree Orbit based on Fairclough's Discourse analysis Framework. *Literary criticism*. C5. Issue 18. 81-109.

Ibrahim, Abdullah. (2016AD*). Modern Arabic Narrative*. Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.

Jassim, Fatima Issa. (2004AD). *Ghaib Tuma Farman as a Novelist*. Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyah.

Khaniki, Hadi. (1387SH). *Dur Jahan Giftgo* (1st ed.). Tehran: Hermes.

Makaryk, A. (1393SH). *Encylopedia Of contemporary literary theory*. (Mahran Mohajer and Muhammad Nabavi, translators) Tehran: Agha.

Murtad, Abdulmalik. (1998AD). *In Narrative Techniques*. Kuwait: Dar Al-Ma'rifa.

Pahlavaninejad, Mohammadreza and Nasseri Mashhadi, Nosrat. (1387SH). Analysis of the text of the word "Nama" according to the history of "Bayhaqi" with "Ruwaykard" meaning "Shanakhti Karbardi" name "Saran Tigkinabad". *Journal of the Faculty of Arts and Human Sciences*, Ferdowsi University, Mashhad. Year 16. Issue 62. 37-58.

Shalabiah, Zuhair. (1996AD). *Ghaib Tuma Farman: A Comparative Study in the Arabic Novel*. Beirut: Dar Al-Kanuz Al-Arabiya.

Yar Muhammadi, Lutfullah. (138 SH). *Popular and critical criticism* (1st ed.). Tehran: Hermes.

Discourse and ideology analysis in Ghaib Tohme Farman's novel "The Palm Tree and the Neighbors" in light of Fairclough's theory

Abstract

Discourse analysis in literary works, or discourse analysis, is one of the important approaches in contemporary literary criticism, which has occupied a large space in criticism today, in its various branches and forms. One of the most prominent of these trends is “critical discourse analysis.” This approach views language as a social product, examines the close relationship between action and ideology, and the relationship between power and society. Fairclough's approach to critical discourse analysis is the most prominent, comprehensive and accepted approach that has been welcomed by many researchers. In his theory, he believes that within the framework of the three axes: description, interpretation, and clarification, the content of the work and its social message can be understood and power relations and social relations can be reached through language. This research paper, adopting the descriptive-analytical approach and based on this theory, attempts to study the famous novel "The Palm Tree and the Neighbors" by Ghaib Tuma Farman. This article seeks to explore the dominant discourse and ideology in the aforementioned novel by examining the three levels of description, explanation, and clarification, and the essential components of each of these levels in the novel, in order to identify clues for understanding post-World War II Iraqi society, which Farman seeks to explain through his realistic approach. One of the most important findings of the research is that the aforementioned novel, at the descriptive level, is considered a popular work characterized by the local language and colloquial expressions. It also tells a political and social story at the interpretive level, seeking to analyze the economic conditions prevailing in Iraq. At the level of clarification, it points to the presence of a discourse of stagnation among the fighters. The author also depicts the discourse of stagnation prevalent in Iraq after World War II in a realistic manner, seeking to reinforce a discourse of emotion and nationalism to break out of this impasse.

Keywords: Arabic Narratology, Discourse, ideology, Fairclough, Ghaib Tuma Farman, “The Palm Tree and the Neighbors”.

تحلیل گفتمان وایدئولوژی در رمان "النخلۀ والجیران" اثر غائب طعمۀ فرمان در پرتو نظریه فرکلاف

چکیده

تحلیل گفتمان در آثار ادبی یکی از رویکردهای مهم در نقد ادبی معاصر است که امروزه در شاخه‌ها واشکال مختلف خود، فضای وسیعی را در نقد به خود اختصاص داده است. یکی از برجسته‌ترین این روندها، "تحلیل گفتمان انتقادی" است. این رویکرد، زبان را به عنوان یک محصول اجتماعی در نظر می‌گیرد و رابطه نزدیک بین کنش وایدئولوژی وهمچنین رابطه بین قدرت وجامعه را بررسی می‌کند. رویکرد فرکلاف در تحلیل گفتمان انتقادی، برجسته ترین، جامع‌ترین وپذیرفته شده‌ترین رویکرد است که مورد استقبال بسیاری از محققان قرار گرفته است. او در نظریه خود معتقد است که در چارچوب سه محور: توصیف، تفسیر وتبیین، می‌توان به محتوای اثر وپیام اجتماعی آن پی برد و از طریق زبان به روابط قدرت ومناسبات اجتماعی دست یافت. این مقاله پژوهشی با رویکرد توصیفی-تحلیلی وبر اساس این نظریه، می‌کوشد رمان مشهور "النخلۀ والجیران" اثر غائب طعمۀ فرمان را بررسی کند. این مقاله در پی آن است که با بررسی سه سطح توصیف، توضیح وتبیین، ومؤلفه‌های اساسی هر یک از این سطوح در رمان، گفتمان وایدئولوژی غالب در رمان مذکور را واکاوی کند تا نشانه‌هایی برای فهم جامعه عراق پس از جنگ جهانی دوم، که فرمان با رویکرد واقع‌گرایانه خود در پی تبیین آن است، شناسایی شود. یکی از مهم‌ترین یافته‌های پژوهش این است که رمان مذکور، در سطح توصیفی، اثری عامه‌پسند با زبان محلی واصطلاحات محاوره‌ای محسوب می‌شود ودر سطح تفسیری نیز داستانی سیاسی واجتماعی را روایت می‌کند ودر پی تحلیل شرایط اقتصادی حاکم بر عراق است. در سطح تبیین، این رمان، نشان‌دهنده‌ی وجود گفتمان رکود در میان فعالان است. این نویسنده همچنین گفتمان رکود وانزوای رایج در عراق پس از جنگ جهانی دوم را به تصویر می‌کشد و می‌کوشد گفتمانی از شور و اشتیاق وملی‌گرایی را برای غلبه بر این وضعیت نامطلوب ترویج دهد. نویسنده با به تصویر کشیدن رکود سیاسی واجتماعی عراق به شیوه‌ای واقع‌گرایانه، به تداوم استعمار وظهور آن در نتیجه‌ی این رفتار اشاره می‌کند.

واژگان کلیدی: روایت شناسی عربی، گفتمان، ایدئولوژی، فرکلاف، غائب طعمۀ فرمان، النخلۀ والجیران.